الإنسان

ماهو ؟ ومما يتكون؟ ومن يؤثر عليه؟
وماهي الأهداف التي تنتظر منه؟ وكيف يحققها؟

الكاتب
صالح ابراهيم

تنويه

هذا الكتاب ليس كتابا دينيا، فتأخذ دينا منه

وليس كتاب طبيا فتأخذ دواء منه

وكاتبه ليس أهلا لما سبق

إنما هو كتاب في التنمية البشرية

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ابراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد

في خضم الحياة المترفة والنعيم العظيم، الحياة المليئة بالتغيرات متنوعة المتع، الحياة الجديدة التي بنيت على العلوم المتقدمة والتقنية المسخرة، هل اكتفى الإنسان بما وصل إليه؟ وهل حقق ما يتوقع منه؟ وهل ماعمله كامل ام ناقص؟ والسؤال الأهم : هل نحن على الطريق الصحيح؟ هذا ما احاول بجهدي الضعيف ومعلوماتي القليلة أن احوم حوله. فالحكمة أن لا يكون الإنسان من دعاة الهدم لبناء جديد، بل لإستغلال ماهو موجود لتحقيق ما هو أفضل، وأن يشكر من عمل وبذل جهدا حتى وان نقص.

كتب التنمية البشرية تتناول عادة التكتيات السلوكية والذهنية والتواصلية حتى تطور وتحسن من كفاءة الانسان، لكنها لم تقترب من العمق لتتعرف عليه وتستغل طاقاته، فكتبت هذا الكتاب محاولة، لأذكر بما نُسي، ولست في مقام أن اعرف بما جهل، فما كتبته ليس جديدا بل قديما، وليس مجهولا بل معلوما، وإنما قدمته بقالب معاصر. ونوهت انه كتاب تنمية بشرية وليس ديني، لكنك ستجد أن محتواه دينيا إذا نظرت إليه من الزاوية المعتادة، فأسمح لي ان أريك زاوية أخرى، إن نجحت في ابرازها لك اقتنعت انه في مجال التنمية البشرية.

لم أكتبه للدول، ولا للمجتمعات، بل للإنسان الفرد، فالإنسان المعاصر أبدع في انظمة وبرامج الدول والشركات، لكن الإنسان نفسه بقي دون نظام ولابرنامج، فقط لديه مفاهيم مجمعة من مشارب متعددة تتعارض مع بعضها البعض فتميل به يمينا وشمالا.

اصطلح على نظام الإنسان أنه يسمى "الدين"، وحين أصبح العالم قرية واحدة واختلط الناس بثقافاتهم واصطدموا ببعض وجدوا انه من الملائم – دون فرض أو سلطة من أحد، وإنما فقط تزيين من الشيطان - أن تفصل الدنيا عن الآخرة، فبعض البشر لايؤمن بالآخرة أصلا لكنهم اتفقوا على الدنيا فهي أمامهم ويعيشون فيها، والتعايش في الأصل محمود والإنعزال مذموم، فنتج عن ذلك صراع داخلي لدى بعض الأفراد كيف يجمع الدنيا والاخرة، أما الذين لايؤمنون بالآخرة فكل فترة يبتدعون تقليعات غريبة تعكس ماهم فيه من التيه والجهل بالروح واتباع لشهوات الذات ايا كانت، فاصبحت الحياة بلامعنى واصبح الفرد خشبا يحرق لغيره، ولولا الإنشغال بالعمل لربما انتحرت شعوبا كاملة جميعا لفقدان معنى الحياة. فلهذه الحال حاجتنا ماسة لنظام (دين) انساني فعال ورشيق.

الإسلام هو الدين عند الله سبحانه وتعالى، لكن مشكلتنا نحن المسلمين بعد قرون من صدر الإسلام اننا صرنا مثل برنامج تشغيل حاسوبي تعرض لقرصنة من الشيطان وتعرض لتحديثات من جهات غير موثوقة (مفاهيم غربية)، فأصبح البرنامج بطيئا ثقيلاً، وليس هذا في اصله ولكن من التدخلات بفعل التحسينات والإختراقات التي تعرض لها، فلم نعي بأنفسنا حتى وجدناها فصلت الدين عن الدنيا فعليا، فعانينا من صراع داخلي، فهل يمكن ان نجمع بينهما أو لابد ان نميل إلى جهة أكثر من أخرى.

والإشكالية الأخرى حالياً بتغير نظرتنا للإسلام نحن المسلمين فضلاً عن الآخرين أننا نراه كما يرى الناس مبنى صامتا من الخارج مثل مابجواره من المباني فمقتوه وتجاهلوه ولو دخلوه لوجدوه جميلاً جداً في كل شيء من الداخل، على عكس مابجواره. وهذا واقع الأديان انها غير عقلانية وغير قابلة للتطبيق في الحياة، فيظن من في الخارج أن الإسلام مثل غيره، بينما هو مختلف، ولن يرى جمال الإسلام إلا من تعمق فيه وجرب لذته وراحته النفسية.

إذا قرأت بعض سير رجال الإسلام الأوائل وكيف اعتنقوا الاسلام، لوجدتهم استحسنوه بما يدعو إليه من مكارم الأخلاق، وليس لأنهم أجبروا عليه بأي طريقة، وليس لأجل الجنة وخوفا من النار، لكن لما أسلموا وعرفوا الآخرة عملوا لها وزهدوا في الدنيا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف الرجال بالدنيا ليسلموا، ولنضرب مثالاً لإيضاح الفكرة، شخص سافر إلى أمريكا وهي في هذا الوقت اعظم وأقوى دولة في العالم، واعجبه عمل إحدى الشركات فقرر ان يستنسخها إلى بلده، فتفاوض معهم واعطوه امتياز تجاري (فرانشايز) واستنسخوا له عملهم ودربوه عليه ثم عاد إلى بلده وأنشأه ونجح فيه، وهذا المثال متكرر ومشاهد، فهل يصدق قائل ان هذا الإمتياز انتشر لأن أمريكا فرضته بقوتها؟ أم انتشر لأنه نموذجاً فريدا وناجحا؟، هكذا أسلم الناس برغبتهم، فتحسنت حياتهم الدنيوية، واستمروا في عمل دنياهم ولم يؤثر عليهم الإسلام فيها، وأقرأ ان شئت كيف اسلمت قبيلة غفار، ولو استبدلت بعض المصطلحات التاريخية بمصطلحات الشركات الحديثة لوجدت اسلام غفار يشابه انتشار فروع شركات عالمية. ولو افترضنا ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان رياديا بتأسيسه لشركة، فتعاقبت عليها الأجيال فتفككت وضعفت وتبددت اصولها، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم فأسس نظاما محكما واعاد هذه الشركة إلى قوتها الأولى، بل اعظم

بكثير وانتشرت في العالم، فهل يمكن ان يكون هذا بقوة السيف أو بالجبر أو بالإحتكار؟ أو لأجل رغبة الناس بالآخرة؟ أم بإحكام النظام ومناسبته للجميع في دنياهم الحاضرة؟ فمن كان تاجراً قبل الاسلام زادت تجارته بعدما اسلم رغم زهده في الدنيا، بل إذا نظرت في تاريخ بعض الرجال لوجدت بداية حياته اما سكيرا أو قاطع طريق فلما اسلم أو كان مسلما ثم تاب، لوجدته تحول إلى رجل ناجح دنيوياً.

فمن خلال تأثير الإسلام على معتنقيه من العرب الأوائل وتغير حالهم من الضعف إلى القوة ومن التشتت إلى التآخي، اعجب الناس به وبأثره فزداد عدد معتنقيه، فلا يوجد دين له مثل هذا الأثر غير الإسلام، وهو يأمر بأن يحب الإنسان للآخرين كما يحب لنفسه، ولعن السارق، وحرم الظلم والغش، وبخس الناس اشياءهم والتطفيف بالكيل وان يقدم مصلحته الشخصية على العامة، والتخبيب والكذب والتجسس والغيبة والنميمة والتفرقة العنصرية وعزز الرقابة الذاتية بأن الله سبحانه يراقب كل شيء، وما إلى ذلك من اخلاق، وكل ماسبق وغيره هو في صميم التنمية البشرية.

في الجانب الآخر، قد لايهتم بعض الأفراد بحاجتهم للدين، وأن الحال بهذا الوضع جميل، لكن غفلوا ان الدنيا لاتأتي بالكد والتعب ولاالذكاء والخداع وهذا معروف عند العقلاء سواء كانوا مسلمين اوغيرهم، فالمسلمين يسمونها قدرا والآخرين حظا وصدفة، والمتدبر في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم يجد انها رزق خالص وهبة من الله وما مثل الدنيا إلا فتاة عنيدة إذا تقربت إليها تمنعت عليك، واذا اقتربت منها هربت منك، لكنها غيورة من الآخرة، فإن تجاهلت الدنيا وتقربت للآخرة لحقتك الدنيا وارخصت لك نفسها فأخذت منها ماتريد وأنت شامخ عزيز.

كل الطرق تؤدي إلى حاجة الإنسان إلى دين كامل ورشيق يعتنقه، ولن يجد أمامه إلا الإسلام الحق يعتنقه بالكامل للدنيا والآخرة. والحقيقة أن الدين ليس مكتسباً وشيئا مبتكراً، ولكنه مدمجاً مع الروح وجزأ لايتجزأ منها، وفي الحديث النبوي مايفيد بأن الإنسان يولد على الفطرة وهي الإسلام، لكن الشيطان عبث بعقائد الناس وتراكمت وساوسه من جيل إلى جيل حتى صار للناس أديان شتى.

ماكتبته في الكتاب ليس شرحاً للإسلام ولا للدين ولاخطة وتصورات لتحقيق ذلك، ولكن ركزت على جزئية قرصنة الشيطان للروح والعبث في تصوراتها ومفاهيمها حتى عطلها، فإذا افترضنا ان برنامج الحاسوب اخترق وعبث فيه فإنه يتعطل كليا او جزئيا أو يكون يكون ضعيفاً، وهكذا الإنسان، فمن ذلك مثلاً، ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق كلهم ومن ضمنهم للإنسان لعبادته، وضمن لهم ارزاقهم وقدرها كما وأجلاً، بينما مفاهيمنا من نشأتنا تركزت على كيفية تأمين المستقبل وتحقيق الثروات واصبح غاية عملنا لتحقيقها، وتركنا العبادة كليا او جزئيا فهذا التغير بالمفاهيم هو فعليا تعطيل. وهذا ما أحاول في هذا الكتاب ان أقدمه لك، فإن وفقت فمن الله سبحانه والحمدلله، وإن فشلت محاولتي فأعذرني فهذا من نفسي والشيطان.

الكون

إذا نظرنا للكون مثلماننظر لمؤسسة خاصة، فإن مؤسسه ومالكه ومديره والقائم والرقيب عليه هو الله سبحانه وتعالى وحده، وهو غني عن كل شيء، ففي الشركات يكون اعلى الناس مرتبة الرئيس ثم نواب الرئيس ثم المدراء الأصغر، لكن في الكون الله هو بيده ملكوت كل شيء واغنى عن كل مساعدة وعون،فهو القائم على ملكه بالكامل، فجعل أعلى الناس منزلة هم الرسل، ثم تحتهم الناس، وهم سواسية عند الله.

خلق الله الخلق في الأرض من زوجين: قال الله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (49) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (50) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) : كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والإيمان والكفر، والجنة والنار، والإنس والجن، والملائكة والشياطين، والعلم والعمل، والعلم من الحفظ والفهم، والأرض من الماء واليابسة، والأثمان ذهب وفضة، والبشر من ذكر وانثى وطاقة الإنسان من غذاء وهواء، وغذاءه من شراب وطعام ومصادر علمه من السمع والبصر، ومصادر طاقته من الفم والأنف، والجنة لمن آمن وعمل صالحاً، والإنسان جسد وروح. فماذا يعني هذا؟

الله خلق الكون وجعل نظامه بالكيمياء لتتفاعل الأزواج مع بعضها فينتج منها ماقدره الله مسبقاً قبل أن يخلق الخلق، فتكون سنة الحياة واستدامتها بالتزاوج، فلايكون شيء إلا بزوجين، وإن كان بزوج واحد او عبث به فمصيره هلاك وتعطل، فماذا لو كان لدينا نهار فقط أو ليل فقط، أو شياطين فقط وكذا باقي الأمثلة، فالكون خلق بزوجين ليتفاعلا بالكيمياء، وايضا للتوازن فلو عطل زوج عن آخر لأنحرف الكون عن ما خلق له، وانحرافه فساد له.

ولما كان الشيطان عدوا للإنسان، استهدفه بغرض اهلاكه، واخترقه بالوسوسة وزين له حتى استطاع ان يغير دينه ومفاهيمه، وبهذا تعطل الإنسان وتخبط فأنحرف عن ما خلق لأجله، وانحرافه هذا مؤثر على الكون وفساد يجذب العقوبة. ولم يكتفي بهذا، لما أفسد روح الإنسان بتغيير دينها، اتجه إلى جسده فبدأ بالتزيين له بتغييره لاكتفاء كل جنس بمثله، وتعديل دور الذكر لأنثى والانثى لذكر، وهذه خطة قديمة له ذكرها الله في القرآن قال تعالى : (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (117) لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)

خلق الله سبحانه الكون، وجعله يسير بآلية دائمة وتلقائية لايتعطل ولايتلف بإستثناء الأرض، فلأن الإنس حملوا الأمانة وكلفوا وجعل لهم الإختيار في اعمالهم، فطرهم الله على الإسلام، فإن تبدلوا وتغيروا فهذا فساد ومرض للأرض، فيعالجه الله سبحانه كما يعالج الطبيب المريض يبدأ بالأدوية وهم هنا الرسل والكتب، فان استغفروا وتابوا فإن هذا صلاح، وان استكبروا ولم يستجيبوا للعلاج استئصلهم الله حتى لايفسدوا الكون.

الفصل الأول: التعاريف

الإنسان

الإنسان يتكون من جسد وروح، ولابد من معرفة علاقتهما ببعض، فكما قلت سابقا أن الإنسان اشبه مايكون بالحاسوب، الذي يتكون من معدات: قرص ومعالج وذاكرة وشاشة، وهي عديمة القيمة لاتنفع بذاتها إلا باستخدام برنامج يشغلها، فإذا كان المعدات مناسبة وذات كفاءة وشغلت ببرنامج فعال نفعت صاحبها، فإذا اصابتها طاقة شيطانية (قرصان وفيروسات) عطبت وسرقت اسراراها وتحكم بها من قبل القرصان حتى يدافع صاحبها عن حاسوبه واسترجاعه و إلا تلف. وغالبا ما يتمكن القرصان من اختراق الحاسوب حينما يدخله صاحبه إلى بوابات فاسدة وغير آمنة فإنه بذلك يعرض نفسه للضرر وتقل فاعلية برامج الحماية. ولايستطيع القرصان ان يخترق الحاسوب من المعدات ولكن من البرنامج الذي من خلاله يستطيع التحكم بالمعدات، فتنبه لهذا، فسنبني عليه مفاهيم في ما سياتي.

جسد الإنسان اهم مافيه القلب والدماغ وهما كالمعالج في الحاسوب، وفيه الجهاز الهضمي لتحويل الغذاء إلى طاقة، والجهاز التنفسي لاستخلاص الأكسجين، وفيه باقي الأجهزة والأطراف والحواس وكل له وظيفته ولقيمه ومخرجاته. هل يعمل الجسد بنفسه هكذا؟ الجواب بالتأكيد لا، لتعمل هذه الأجهزة تتطلب روحاً تشابه برنامج التشغيل في الحاسوب.

إلى هنا عرفنا أنه لايحصر الإنسان بالجسد، والإنسان لا يكون إنسانا إلا بحسد و روح، ولكل منهما غذاؤه ومتطلباته وامراضه الخاصة وايضاً زينته، فلايمكن ان نعالج امراض الروح بعلاج الجسد ولا ان نكتفي بغذاء الجسد للروح، فإذا كان مدخل الغذاء للجسد هو الفم، فإن مدخل غذاء الروح هو العين والأذن – التي ذكرهما الله كثيرا في القرآن-، وما يدخل العين والأذن

يسمى معلومات تذهب إلى الدماغ فيحولها للقلب الجسدي ومنه تنتقل للقلب الروحي وهو ما يسمى بالعقل ليستفيد من النافع منها ويتلف السيء. قال الله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)، والعلم الحديث يقول ان محل عقل الإنسان في الرأس وأن القلب مجرد جهاز من اجهزة الجسم، لكن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم ان محل العقل في القلب وحدد مكان القلب بأنه في الصدر، لذا سأسلم بما جاء في القرآن الكريم لقول الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) وقوله تعالى: (الْحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)، وبناء على هذا فإن نقطة التواصل بين الجسد والروح هو القلب، وأن مكان مركز الروح في الصدر، ويمكن ان نربط هذا بما يقوله الرقاه ان أكثر ماتكون العين التي تصيب الإنسان في الصدر، وعقد السحر والمس الكبرى تكون في الصدر ومايقابله من منطقة الأكتاف والظهر. وايضا لما ذكره الله عن القرآن الكريم بأنه شفاء لما في الصدور، وهي الروح.

إذن الجسد والروح في حيز واحد مكملان لبعضهما، لكن منفصلان في الغذاء والأمراض، فامراض الجسد مثل الآم الرأس والقلب والبطن والأعصاب وما شابه ذلك وعلاجها علاجا طبيا اما بدواء او جراحة وهذا له مساره العلمي الخاص. اما الروح لها امراضها وعلاجها الخاص، ولا ينكر أحد يؤمن بوجود الروح بانها لاتمرض، وان المرض خاص بالجسد وإن حصل فهو جهل وان صدر من متعلم، ولهذا لايمكن ان نعالج داء الروح بأدوية الجسد لأنهما مختلفين في التكوين وإن كانا في حيز واحد، فأمراض الجسد لابد لها من متخصص عالم بعمله، أما مرض الروح فيجب ان تعالجها الروح بنفسها.

قبل ان اتكلم في موضوع الروح، أود الإشارة ان الانسان وصل إلى العلم الحديث –المادي- إلى ثورة لم تخطر على بال، وانه استطاع ان يتحكم في

اشياء كثيرة، لكن التساؤل هل العلم المكتشف هو كل العلم؟ وأنه حقيقة لاظن فيه ولا وهم؟ جوابي: ان الانسان يتطور ويتعلم ويكتشف ويصحح اخطاءه ومعلوماته، لكن هذا في الجانب المادي، اما جانب الروح فالإنسان لاعلم له بها، ودراسة سلوكيات الإنسان لاتعني معرفة الروح او ماهيتها، قال الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) وبناء على هذه الآية لاتبحث عن علم الروح لدى الغرب ولا الشرق، وانما استقرئ ما يفتح الله عليك من كتابه ومهما فعلت لن تصل إلى شيء من علمها، لأن الله سبحانه اختصها لنفسه. فلذا لاتنكر علما لأن الغرب والشرق بفلاسفتهم لم يقولوا فيه، فالغرب بإمكاناته وفلاسفته وعلماءه مازال كل يوم يكتشف جديداً، فياترى كم علم لم يكتشفوه فضلا على ان يظهروه ويعلنوه.

إذا ماذا لدينا من معلومات عن الروح؟ لن تجد اجابة إلا في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (إنَّ أحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا ، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك ، ثم يكونُ مضغةً مثلَ ذلك ، ثم يُرسلُ اللهُ تعالى إليه الملكَ فينفخُ فيه الروحَ، ويُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ : رزقُه و أجلُه و عملُه و شقيٌّ أم سعيدٌ) وبهذا يولد الإنسان وروحه على الفطرة التي خلقه الله تعالى عليها قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ فأبواه يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه).

ايضا لدينا خطاب الله سبحانه وتعالى للإنسان إلى روحه وليس جسده قال الله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) ومثل هذه الآية جاءت في عدة مواضع من القرآن الكريم، وذكر السمع والبصر وهما حاستان تتغذى بواسطتها الروح كما يتغذى الجسد بواسطة

الفم، فالبطن هو آلة معالجة غذاء الجسد، أما القلب فهو آلة معالجة غذاء الروح، والقلب جسدي وهو الذي يضخ الدم وقلب روحي وهو الذي يعقل فالعقل في الروح وليس الجسد.

والروح تقوم بطاقاتها كاملة في جسد صحيح معافى، واي خلل أو نقص في الجسد فإنه يحد من طاقة الروح فالجسد هو الآلة، والروح هي البرنامج، فتكاملهما اساس للفاعلية، وكثيرا ما يحدث الخلل، حينما ينمو الجسد ويكبر دون أن توازيه الروح بالنمو لضعف غذاءها أو لخلل فيها، فالجسد مادي محسوس، أما الروح فلا، ومن هنا نستبنط فترة المراهقة التي يبلغ فيها الجسد شبابه مع بقاء الروح على طفولتها.

يتأثر الجسد بالبيئة المادية المحيطة به في الأرض، من نقاء الهواء وجودة الغذاء، أما الروح فتأثرها أكثر فمنها ماهو بيئة مادية محسوسة مثل نقاء الهواء وحرارة الجو وجمال الطبيعة وعذب الكلام، ومنها ماهو غير محسوس من طاقة وأطياف وترددات. وللجسد أمراضه المعروفة، وللروح أمراضها كالحسد والكبر والضيق والهم والغم، وأمراض الروح تؤثر على الجسد وكذلك أمراض الجسد على الروح، وإذا كان العلم تقدم في أمراض الجسد وأدويته إلا أن الروح ما زالت مجهولة في العلم الحديث. وايضا كما ان اللباس والحلي زينة الجسد، فإن العلم والأدب زينة الروح.

فهل الجسد والروح متفقان ؟ أو بينهما صراع؟ وأظن والله اعلم أنهما كالزوجين بينهما تجاذب وصراع خفي، فمن انتصر منهما هيمن على الآخر. الجسد يريد ان يتمتع بالطعام والجنس وغيرها من ملذات، فإن استجابت الروح للجسد نزلت لمستواه وانشغلت باعماله وتركت ماهو مطلوب منها، وان قويت الروح وهيمنت على الجسد، انشغلت بالعبادة والذكر والتفكر،

وتركت الجسد يعمل لوحده لتلبية معيشته، فتجد الإنسان يعمل بجسده اعمال الدنيا وروحه مع الله، وهذا هي فطرة الإنسان.

فيما سبق عرفنا الروح والجسد الذين يتكون منهما الإنسان، واذا ذكرنا الإنسان فاننا نقصد الروح تحديدا إلا اذا اقتضى السياق الجسد.

لماذا أوجد الإنسان؟ هنا لابد لنا من مصدر موثوق نستند عليه، والإنسان إذا بحث عن اصله وماهيته، هام على وجهه حتى يصل إلى كتاب يثير عقله ويجيب عن تساؤلاته، ويدلل بقوله على علامات يعرفها الإنسان نفسه، وهذا الكتاب هو القرآن الكريم، كلام الله سبحانه وتعالى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، في هذا القرآن ذكر الله سبحانه وتعالى أنه ما خلق الخلق إلا لعبادته وتسبيحه قال الله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وخلق الله الإنسان الأول، هو آدم عليه السلام اب البشر خلقه الله بيديه، فخلق جسده من طين ثم نفخ فيه من روحه تبارك وتعالى، فأحيا الجسد بهذه الروح المباركة، وأمر الله سبحانه وتعالى ملائكته بالسجود لهذا المخلوق الجديد: الإنسان، فسجدوا له، إلا ابليس، الذي غضب الله عليه فاستكبر فلعنه الله، فسأل ابليس الله تعالى تحديا منه أن يغوي بني آدم وطلب أن يؤجل موته إلى آخر الزمان، فاستجاب الله له، وتوعد الله ابليس ومن اتبعه بعذاب شديد.

هنا بدأ الصراع بين آدم وابليس الذي اصابه الكبر والغرور والحسد، فأسكن الله سبحانه وتعالى آدم الجنة يتمتع بها حيث شاء، ماعدا شجرة واحدة نهاه الله سبحانه وتعالى عنها، حينذاك وسوس ابليس لآدم الأكل منها وزين له ذلك، فاستجاب آدم لابليس، فغضب الله عليه، فندم حينذاك آدم فتاب واستغفر فتاب الله عليه، لكنه أهبطه هو والشيطان إلى الأرض، لتكون ميدان الصراع. وقد حقت اللعنة على الشيطان، وآدم كتبت له الحياة

للإختبار والإبتلاء، وهنا اضرب مثلاً للتوضيح فقط، بأن آدم وذريته مثلهم مثل طالب رسب في دراسته فأعطي فرصة أخرى فإن نجح رجع للجنة موطنه الأساس، ومن خسر لعن وألحق بأبليس.

الشيطان

قال الله تعالى أن الشيطان قال: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ)

الشيطان عصى الله، فلما سأله الله سبحانه عن سبب عصيانه استكبر وأبدى حسده للإنسان وغروره عليه، أما الإنسان لما عصى الله، وسأله الله عن سبب عصيانه اعترف وأقر بذنبه واستغفر وتاب. فانتبه لهذا.

الشيطان مخلوق متمرد مغرور متكبر حسود، خلقه الله لعبادته فتمرد وعصى، فأمهله الله لحكمته حتى آخر الزمان، وهدف الشيطان ان يغوي الإنسان ليعصي الله ويتمرد عليه مثله، لكنه لا يستطيع ان يغوي الإنسان جبراً، وإنما تزيننا للعصيان بواسطة الخاصية التي منحها الله تعالى له وهي الوسوسة، كما وسوس لآدم عليه السلام.

الشيطان يرانا ولانراه، وفي السنة النبوية: عن أنس في قصة زيارة صفية النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف ، وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها ، فلقيه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال رسول الله : " على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي " . فقالا سبحان الله يا رسول الله . فقال : " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا ، أو قال : شرا ".

يعمل الشيطان في الأرض كقرصان (هاكرز) للإنسان، وهو يتابعه ويترصد له حتى يتمكن من اختراقه و زرع فايروس فيه للتأثير عليه والتحكم به، ويسمى هذا الفايروس (عقدة). وهناك جدل بين الناس، هل يستطيع الشيطان اختراق جسد الإنسان والسكن فيه؟ فهناك من قال بالإيجاب والتاكيد وهناك من أنكر، ومع أنني شخصيا مع من يقولون بالإيجاب إلا انني لن افرض هذا الرأي، وسأكتفي بما اظن انه محل اتفاق، وهو قدرة الشيطان بالتأثير على الإنسان حتى وهو خارج الجسد من خلال العقد.

والله سبحانه تعالى لما خلق الإنسان، جعل لكل انسان قرين من الملائكة يأمره بالمعروف وقرين من الشيطان يزين له المنكر، قال الله تعالى : (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) وقرين الإنسان الشيطاني لديه ملف استخباراتي كامل عن هذا الإنسان فيعرف عنه كل شيء ويعرف ثغراته التي يستطيع منها اختراق الإنسان ليزرع عقده، قال الله تعالى : (وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ).

وتأثير الشيطان على الإنسان من خلال القرين ضعيف، وحتى يقوي التأثير لابد له من اختراق الانسان وزرع العقد التي من خلالها يتمكن من التأثير على الإنسان ولوكان عن بعد، كما يتحكم القرصان بالحاسوب من خلال الفايروس، فإذا تمكن من الإختراق فإنه لايكتفي بعقده واثنتين بل يستمر في عقد ما استطاع فكل خطيئة للإنسان يستغلها الشيطان بعقد عقده وتجديدها.

وكما ضربنا مثلاً للإنسان بالحاسوب، فإن الحواسيب تختلف فمنها الصغير ومنها الكبير وكل له وظيفته، فالحاسوب الكبير والذي يسمى الخادم (السيرفر) اذا اخترقه القرصان تحكم من خلاله بكل الإجهزة المتصلة به،

وكذا الإنسان فالسيد (مثل الدول الكبرى) ليس مثل التابع (افراد البشر)، ومن خلال هذا المثال تعرف ان الشيطان يتربص بالأسياد تربصا محكما، فإذا لم يستطع اختراقهم اخترق من تحتهم ومن يؤثر عليهم حتى يتم اختراقهم.

أدوات كيد الشيطان

أهبط آدم والشيطان إلى الأرض وبدأ الصراع، وآدم عليه السلام عرف الله سبحانه وتعالى، ويؤمن أنه لا اله إلا هو وحده، وهو من ينفع برحمته ولايكون الضر إلا بإذنه بسبب الخطايا.

الشيطان يعرف انه لايستطيع إغواء الإنسان جبراً، إنما تزيننا وترغيباً وإيهاماً. وبالأمثلة تتضح الأفكار، فلو قلنا أن الله سبحانه وتعالى طلب من الإنسان السفر إلى الجنة،خلال زمن محدد وهو عمر الإنسان واعطاه القرآن دليلا و خريطة، ومنه يعرف الطريق والعقبات والصعوبات و مصادر طاقته فلا يغره سراب و مايحتاج إليه فأخذ قدر حاجته لايزيد حتى لايثقل ظهره فتضعف طاقته، وعرف القوافل التي ممكن ان تواجهه، وعرف القراصنة (الشياطين) واماكنهم واساليبهم ليحتاط وينجو بنفسه. فكيف ينفذ الشيطان وعده؟ بعدة حيل، لنصطلح على تسميتها جميعا بالأوهام: قال الله تعالى : (يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا):

1. الأصنام:

وهو كل ما يعبد من دون الله أو يصرف إليه شيء مما لايصرف إلا لله، وليس خاصا بالتماثيل. فأوهم الشيطان الإنسان بأن هناك من يقرب له المسافة بأقل جهد، فجاء له بالأصنام وأوهمه بأنها تنفع وتضر وتقرب إلى الله وتؤدي إلى الجنة بطريق أفضل. ثم يوهم من بعدهم بالقوافل الكبيرة التي تعبد

الاصنام، فيشكك الإنسان في نفسه، ويقول لايمكن ان يكون كل هؤلاء ضالون، فيتبعهم فيهلك معهم.

2. الإلهاء

من الناس من ضل وهلك بصناعة الوهم، لكنه لم يكتفي بذلك، فجاء بحيلة الإلهاء بالشهوات، فأشغله بجمع مال لايحتاجه بل يثقل ظهره بحمله حتى ينفد عمره لاهيا غافلا، واشغله باثارة غريزة الشهوة ليسهل انقياد الإنسان له، فينشغل بها حتى ينفد عمره لاهيا.

3. تغيير المفاهيم

يغير الشيطان مفاهيم كثيرة، باستغلال غرائز موجود في الإنسان، منها ماهية الفوز؟ فالله سبحانه وتعالى حصر الفوز بانه دخول الجنة. أما الشيطان فغير هذا المفهوم بأنه مكاسب الدنيا. ومنها غاية الخلق وهو العبادة، غيره إلى تكوين النفس وجمع الأموال، ومنها ان الرزق من عند الله، غيره إلى أنه مكتسب.

الله سبحانه أكد للإنسان ان الدنيا بلاغ ومتاع لاتستحق اهتمام، لكن الشيطان لما تمكن من اختراق الإنسان وزرع فيه العقد، غير مفاهيمه وتصوراته في الدنيا، فأشقاه بطلب المعيشة الأكثر تعقيدا وكلفة وحقر له ماعنده حتى غذى روحه بالحسد فكلف الإنسان نفسه مالايطيق وزين له الشيطان الديون وطرق الكسب المحرمة وجعله يتمادى حتى يفقد الإنسان تركيزه وتفكيره ويشقى بما هو فيه.

4. التجريد

يوهم الإنسان بأن حدوث الأحداث بسبب طبيعتها ونتيجة للأسباب، مجردة من مشيئة الله تعالى فلا دور لها أو ان يكون لها دوراً هامشيا، وإن لم

يستطع أبقى على إرادة الله لكن جردها من حكمة الله، لتكون الأحداث شيئا مسلما به مثل الكسوف والخسوف يحدث لالتقاء الشمس والقمر او تكون الأرض بين الشمس والقمر، فيقول بأنه حدث طبيعي وليس لحكمة الله. قال الله تعالى: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) وعلم الله ليس علم دراية فقط، بل علم تدبير وحكمة، فلم يأمر الله بشيء او يحث عليه او يحرمه الا بحكمة سواء عرفناها ام خفيت علينا، والتجريد من أخطر وأدق حيل الشيطان.

5. التحسير: يوهم الإنسان بفوات الفرص والأموال حتى يشعره انه لم يبق له من الدنيا شيئاً ، ، فضرب عند الإنسان خاصية التسليم والرضا بما قسم الله له. فتأثر وتنازل وغير مفاهيمه. قال الله تعالى : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور)

هذه أشهر حيل الشيطان التي اعرف، فلا مناص ولاخلاص للإنسان إلا بمعرفة عدوه، لئلا يقطع عليه الطريق إلى الجنة أو يضلله إلى جادة تؤدي إلى مهلكة، فمن عرف الشيطان وحيله تنبه وتيقض وحصن نفسه، ومن استهان به أهلكه. فاذا اقتنعت بما ذكرت لك، عرفت ان المعركة بين الإنسان والشيطان ليست سهلة ولا مؤقته وأنه لايكتفي بهزيمتك او سلب ما معك بل يصر على هلاكك. والشيطان معمر لديه ذاكرة وعلم وسجل خبرات، بينما الإنسان ذاكرته ضعيفة وعمره قصير ولايدرك ما يحيط به، ولذا أرسل الله سبحانه الرسل وأنزل الكتب لهداية الإنسان وتبصيره.

القرآن

الأرض هي ميدان الصراع بين الإنسان والشيطان: قال الله تعالى : (قالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ)، وخلق فيها كل مايحتاجه الإنسان، وجعل الله سبحانه فيها آيات وعلامات للإنسان تدل على ان الله الواحد الأحد لاشريك له.

حينما خلق الله آدم، كان آدم يعرف العداوة بينه وبين الشيطان، وعلم آدم ابناءه، فلما تعاقبت الأجيال استطاع الشيطان ان يخترق بني آدم ويؤثر عليهم فضلوا عن التوحيد، فأرسل الله إليهم الرسل وانزل الكتب التي ترشدهم للحق، فمن استجاب لله نجاه، ومن اعرض واستسلم للشيطان حق عليه العذاب والهلاك.

عصم الله رسله من كيد الشيطان، لكن الشيطان بإرادة من الله استطاع ان يزين للإنسان تحريف الكتب الإلهية فحرفها الإنسان جهلاً منه بكيد الشيطان، حتى بعث الله سبحانه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم الإنبياء فلا نبي بعده، وانزل معه القرآن أكمل الكتب والمهيمن عليها، ولذلك حفظ الله كتابه من تحريف الشيطان.

فالقرآن هو دليل للإنسان وخريطة لمسيره وتبصرة لعقله، من خلال القرآن عرفنا صراعنا من الشيطان وعرفنا كيده واساليبه مع من سبقنا من الأمم، وعرفنا اساليب اقناعه وتأثيره على الإنسان، فمن تجاهل القرآن ضل وهام على وجهه، فلو ضربنا مثلا لإنسان مسافر لأرض جديدة، فإنه يحتاج إلى دليل أو خريطة، فإن أخذها وفهمها سهل عليه الطريق وعرف العقبات والصعوبات وعرف مصادر المياه فلا يغره سراب، وعرف مايحتاج إليه فأخذ قدر حاجته لايزيد حتى لايثقل ظهره فتضعف طاقته، وعرف اي قافلة يتبع، وعرف القراصنة واماكنهم واساليبهم فاحتاط لنفسه حتى ينجو.

الأرض

قال الله تعالى : (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)

أسكننا الله سبحانه وتعالى في الأرض وحذرنا من الافساد فيها، ومن سياق القرآن يتضح لنا ماهية الفساد: فهو الشرك والكفر بالله، وجحد نعمه، وعدم اتباع اوامره، واقتراف نواهيه، ويصطلح على هذا بتسمية المنكر، ويقابله المعروف الذي هو الإيمان بالله وتوحيده وشكره على نعمه وطاعته.

وقد ذكر الله تعالى ان للفساد أثر على الإنسان والأرض فبسببه يحل الهلاك، وأن التوبة والإنابة لله سبب للخير والبركات، فمن هذه المعطيات نستقرئ ونستلهم وجود طاقة للمعروف تجلب الخير وطاقة للمنكر تجلب العذاب، وهما مؤثراتان تأثير ماديا ومحسوسا للإنسان والأرض ومن فيها. قال تعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

فإذا اقتنعنا بهذا، عرفنا ان سبب صلاح الأرض وفسادها ليست بأسباب مادية، -ولا أظن في حدود علمي القاصر وجود علاقة مادية محسوسة لنا بين تأثير انتشار الفاحشة وفساد الأرض-. وتاريخيا حصلت، لما انتشرت الفاحشة في قوم هلكوا، مثل قوم لوط عليه الصلاة والسلام اجتثوا من الأرض اجتثاثا، لأن مافعلوه فساد عظيم لأن فعلهم عبث بكيمياء الكون وتعطليها، وكما في الحديث النبوي: (...لم تَظْهرِ الفاحِشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلِنُوا بِها إلا فَشَا فِيهمُ الطاعونُ والأَوجاعُ التِي لم تكنْ في أسلافِهم ، و لم

ينقُصُوا المكيال والمِيزانَ إلا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المُؤْنةِ وجَورِ السُّلطانِ ، ولم يَمنعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّماءِ...) الحديث

الأقدار

قال الله تعالى : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) في هذه الآية الكريمة أكد الله تعالى على أن كل شيئ مقدر ومكتوب لايتغير، وأن على الإنسان ان لا يتحسر أو يتندم أو يجلد ذاته لأجل امر من امور الدنيا لأنها مكتوبة ومقدرة مسبقا، ولا يحق له الفرح والكبر والغرور لأجل ماعنده لأنه من الله سبحانه وليس من نفس الإنسان، ويمكنك ان تفترض بما ان الدنيا هي اختبار وابتلاء ان الناس في مسارات سباق، وهذه المسارات طويلة لكن في كل مسافة من كل مسار آلات فيها ارزاق، يضغط الإنسان زراً فيخرج له مافي الآلة، لكن هذه المسارات مختلفة وليست متشابهة، فأحد عنده الآت صغيرة وآخر كبيرة وآخرين مابين ذلك، ايضا المسارات بعض منها ممهد والاخر مليئ بالعقبات ومنها مابين ذلك، وليس لأحد حق اختيار المسار، فهل يحق لأصحاب المسار الجيد ان يفخروا او يعجبوا او ان يقولوا ان مافي هذه الآلات من عملهم وجهدهم؟، ولاينبغي لاصحاب المسارات الوعرة أن يتحسروا، لأن الأمر برمته اختبار وابتلاء باليسر والعسر و ليست هدفا ولا مسكنا وموطنا، بل طريق مؤقت بزمن محدد إلى مستقبل يحدد بتجاوز المسار بنجاح أم لا.

المال

ضل الإنسان طريقه وجعل هدفه تحقيق الأرباح، بينما الله سبحانه وتعالى خلقه وضمن له رزقه وجعل هدف خلقه هو عبادته سبحانه وتعالى، وان المال هو عونا على العبادة. فعندما وضع المال هدفا، اصبح يجمعه بأي طريقة استطاع سواء بالغش والكذب والتدليس والسرقة، بينما الإسلام وضع ضوابط بتحريم كل ما يضر الآخرين أو بسلامتهم وعزز الرقابة الذاتية بالخوف من الله، وحث على العطاء ورغب به وضمن من اعطى ان يخلف عليه. وأكد الإسلام على ان المال ليس باستغلال الآخرين ولكنه حصرا من عند الله حتى لايزين لهم الشيطان ماسبق من ممارسات، فطمئن الإنسان ان رزقه مكتوب مسبقا وانه مقدر وقتا وكما، ومتى ما وجد هذا الا عتقاد في روح الإنسان وآمن به وصدق، تغيرت بالتأكيد شخصيته وعمله وانتاجه ونظرته للمال، فزهد فيه واعطى منه بسماحة نفس.

العمل

العمل الصالح ليس محصوراً في العبادات، بل يشمل كل شيء ما دام صالحاً مسبوقا بنية صالحة، والعمل في الدنيا ليس ضد التوكل والإيمان بالرزق، بل إن العمل سنة من سنن الحياة حتى وإن كان الإنسان غنياً، فإن فرغ الإنسان وتعطل فسدت روحه او جسده أو كليهما، وهذا واقع مشاهد. والشيطان أفسد مفاهيم العمل بانه لتحصيل المال فقط، فصارت الأعمال مادية لاروح فيها وفقدت جودتها وعمليتها.

العمل عمل الجسد، فإن عملت الروح مع الجسد فسدت وانشغلت فكرا وحملت هما وغماً ثم مرضت وتعبت، لكن الأصل ان يعمل الجسد بينما الروح تبقى متوكلة على الله سبحانه متعلقة به وذاكرة له، مؤمنة بأن التوفيق

من الله وحده وليس من ذات العمل أو عامله، وان الرزق من الله وحده وليس من العمل، فبهذا التقسيم، إن نجح الإنسان حمد الله، وإن فشل وتعثر لم يدخل لقلبه التحسر فهو مؤمن انه بقدر الله، فلايسقط ولايتحطم وانما يلملم شتات نفسه سريعا ويبدأ بالعمل من جديد، ايضا بهذا التقسيم والارتباط بالله سبحانه يؤمن بأن الله ينظر اليه ويراقبه فيعمل بجد واخلاص ونصيحة، وهذا ينعكس على جودة العمل والأعمال ثم على جودة الحياة.

لايمكن ان يعزز خاصية الرقابة الذاتية للإنسان نفسه إلا بالدين، فإن ضعف دينه فقد الرقابة الذاتية فتراخى وتساهل في عمله واستهان بما حرم الله ونهى عنه، وانعكس هذا على بيئة الاعمال كاملة.

بهذا وصلنا إلى نهاية التعاريف..

الفصل الثاني: الأعمال

لتستغل طاقة روحك القصوى في أعمالك في الحياة لابد أن تهيأها، ولذلك ثمن باهظ وجهد كبير، فالأمر ليس سهلاً ولا يسيرا، فإذا رأى الله سبحانه فيك خيرا أعانك عليها، قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿

لكن ما لايدرك كله، لايترك كله، واعلم أن الوصول إلى الغايات لايتم بجهد الإنسان وإلا لهلك، وإنما بفضل من الله وعون وتوفيق.

تذكير بالتنويه:

هذا الكتاب ليس كتاب ديني فتأخذ دينك والحلال والحرام منه، وما يجزئ ومالا يجزئ، والتوافق مع تعريف المصطلحات مع ما قال به العلماء. فلم أكتب الكتاب لهذا، وإنما هذا كتاب في مجال التنمية البشرية لكيفية معرفة الإنسان لنفسه ومافيه يعتبر من رأيي وليس مستندا إلى علم، فلذلك ماكتب هو محل الخطأ والصواب، والقبول والرفض، ولن اشتت القارئ في كل نقطة للتوضيح والتفريق بين ماهو مطلوب دينيا وما هو فقط لأجل موضوع الكتاب، فإذا وجدت تعارضا بين مافي الكتاب وبين ماتعرفه أو شككت في شيء فأرجع للعلماء.

النية

في الحديث النبوي: "إنما الأعمال بالنيات..." الحديث، النية عزيمة روحية سابقة للعمل، تحدد للروح ماهية العمل ومالغاية منه، ولمن هذا العمل، ولاتقوم الأعمال إلا بالنوايا، ولربما تتشابه الأعمال فتختلف مخرجاتها لإختلاف النوايا حتى وان صدرت من انسان واحد في زمنين مختلفين.

نية الإنسان لابد أن تكون لأجل الله وحده، فلا يمكن ان يعطيك سيدك مزايا ومكافاءت وولائك لغيره وتعمل لآخرين، ويطلق على هذا مصطلح الإخلاص، فكل عمل لجسدك أو لروحك يجب ان يكون مسبوقاً بنية وأن تكون النية لأجل الله ولإرضائه وليس لتحقيق مصالح ذاتية، أو عادة اعتدتها.

من اهتم للدنيا وعمل لأجلها، وأدى الفرائض دون نية وحضور قلب وتركيز واهتمام، فمثله مثل من كان موظفاً لكنه اهتم بعمله الخارجي أو الخاص بينما وظيفته الأساسية يكتفي بتوقيع الحضور والإنصراف، او يحضر ويمضي وقته فيما لاعلاقة للوظيفة به، ومديره يراقبه ويعرف عنه كل شيء، فهل سيكافئه؟ وهل سيجيب مطالبه؟ أم يمقته ويبعده وينقله نقلاً تأديبيا إلى منطقة نائية محرومة من اغلب متطلبات العيش. فانتبه لهذا وراجع نفسك. أما من كان ولائه واخلاصه تام لمديره فإنه يكافئه ويكرمه حتى ولو كان عمله ناقصا.

للوصول إلى إخلاص النية تحتاج إلى تدريب نفسك كثيراً، لكن لاتحبط ولاتتعاظم شيئا، فإنك إن نويت الوصول إلى هذه القدرة صادقا، واستعنت بالله ان يوصلك إليها، فإنك بفضل الله تصل إليها.

التوكل

التوكل عمل اساسي للروح، لكن الشيطان إذا اخترقها عطل عنصر التوكل لديها، ولإعادة عمل التوكل للروح كما خلقها الله سبحانه أول مرة لابد من اعادته إلى الفطرة بتنظيف الروح من عقد الشيطان (فيروسات)، وعلاج ماتسبب به من امراض لها، وهذه العملية من اشد العمليات لأنها مواجهة الشيطان، لكن قبل ان نبدأ بالعلاج، لنعرف ماهو التوكل؟

التوكل هو أن تؤمن وتتيقن تماما أن كل عمل يتم هو بمشيئة الله وحكمته، فلا يتحرك متحرك إلا لحكمة وسبب وبأجل مسمى لايتقدم ولايتأخر، وكل نتيجة حصلت ليست من ذات العمل وإنما هي إما عطاء وفضل من الله ان كانت النتيجة ايجابية، وان كانت سلبية إما انها ليست في صالح الإنسان فمنعه الله اياها، او بسبب خطيئة جزي عليها. قال الله تعالى: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فهنا بين الله سبحانه وتعالى أن القتل ليس نتيجة للسيف ولكن لأن الله سبحانه كتب في القدر اجلاً لحياتهم وجعل لنهايتها سببا وهو السيف، وجعل للسيف قدرة على القتل، فلو لم يريد الله ذلك، لما قتل السيف، ولما جعل هذه المعطيات تتوافق مع بعضها البعض لتكون هذه النتيجة.ايضا خذ مثال الرمي الذي ينطبق عليه ماسبق.

إن النتائج -الأرزاق مثلا- تكون كما في الكيمياء، لاتكون بمادة واحدة، وإنما بمواد متعددة تتوافق في مكان واحد وزمن واحد فتحدث، ولوتأملت في الأسباب التي نفعلها لوجدتها مثل ضغطة زر لآلة مثل آلة القهوة ، حين تضغط الزر فتسكب لك فنجاناً، فهل انت من عمل القهوة؟ أم انت فعلت سببا وهو ضغطة الزر.

لو تفكرت في كافة الأمور لوجدتها انها مهيأة من الله سبحانه وتعالى للإنسان، الذي فقط يضغط الزر وهو السبب، ولهذا لايحق لأحد أن ينسب لنفسه نتيجة عمل من أعمال الله، بسبب ضغطة زر، قال تعالى: (لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ)، فإذا تبين لك عرفت ان كل نعمة عندنا هي من عمل الله وحده ومن عطاءه، وكل ضر بأحد هو بإذن الله تعالى، وتنبه لنقطة مهمة ان النعم من الله وحده، أما الضر والشر فمن الإنسان، فالله خلق الخير ايجادا وجعل فضله سبحانه سببا له، وخلق الشر ايجادا وجعل الخطيئة سببا له، ايضا تنبه ليس كل ثراء ورفاه هو نعمة وليس كل شدة نقمة، فمقاييس الله تختلف، فثراء الروح وغناها بالله هو الثراء حتى لوكان جسدها لايملك شيئا، وربما تكون بائسة وجسدها يملك الدنيا. فإذا تبين لك هذا عرفت أن الأهداف لاتتحقق إلا بفضل الله، فاعتمد عليه واحسب حسابك على ماعندالله لا على ماعند نفسك، وهذا هو التوكل.

دواء الروح

اشهر أمراض الروح هو السحر والعين، وإن كانت اشدها إلا ان أمراض الروح أكثر من ذلك إلا أنها اخف وطأة وأخفى وجوداً، فالسحر والعين كأسر الإنسان في الحرب، يعتقل ويسلب ماعنده رغماً عنه، مكبل بالقيود. والأمراض الأخرى للمثال وليس الحصر مثل الكبر والحسد والهم والحزن والخوف والضيقة، وثقل عن العبادة، وعجز وكسل وبخل ولؤم وما إلى ذلك. ومن المهم معرفة ان السحر وغيرها من امراض الروح الناتجة عن الشيطان باستثناء العين، لا تتم إلا بالعقد، التي لايستطيع الشيطان ايذاءك ماديا الإ بها، أما وسوسة الشيطان وتزيينه فتتم بدونها، اما العين فهي طاقة شريرة

تصدر من الأرواح سواء كانوا انسا او جنا او حيوانات، واختلف في علاقة الشياطين في تسببها، لكنهم بالتاكيد يستغلونها.

ومعرفة تفاصيل أمراض الروح لن تفيدك كثيراً لأن علاجها واحد، ، وليست مثل الجسد تختلف ادويته باختلاف امراضه. ودواء الروح لاضرر من كثرته لأنه ذكر الله تعالى بل لابد من كثرته، وهو انواع:

1. ذكر مقيد: كالتسبيح والتكبير بعد العبادات، وقبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وكأذكار الصباح قبل طلوع الشمس وأذكار المساء بعد غروبها وقبل غياب الشفق الأحمر: لأن اليوم ينتهي بغروب الشمس، ويبدأ اليوم الذي يليه بعد غروبها، -اليوم مكون من ليل ونهار- مثل ليالي رمضان تبدأ من أول وقت المغرب وينتهي اخر ايام رمضان بغروب شمسه، وايضا تأمل أذكار مابعد الصلوات كلها متشابهة عدا صلاتي الفجر والمغرب.
2. الأذكار المطلقة والتي تقال في كل حين، والأذكار هي: القرآن الكريم، التهليل والتسبيح والحمد والتكبير والحوقلة والاستغفار. والله سبحانه حث على كثرة الذكر ومدح أهله، ونهى عن الإقلال منه وذم اهله ووصفهم بالمنافقين.
3. العبادة: ومنها ماهو مفروض وشرط للإسلام ومنها ماهو نافلة، وكثرة العبادة النافلة امر مهم للتوفيق، مثل نوافل الصلوات وركعات الضحى وصلاة الليل في الظلام وعلى انفراد باستثناء شهر رمضان، وايضا كثرة الصيام و الصدقة من الأموال وخدمة الناس، والحج والعمرة. وانتظار الصلاة و اطالة المكوث في المصلى بعد الصلاة والرباط بين الصلوات.
4. الدعاء بكثرة والإلحاح على الله سبحانه بسؤاله العفو والعافية والهداية، ومن أفضل الدعاء هو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فمن جعل دعاءه كله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كفي

همه وغفر ذنبه. والرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعوا كثيرا لأمته، والمسلم يفدي الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه وامه وابيه فمن باب أولى أن يؤثره بالدعاء ليجعله كله أو جله صلاة عليه صلى الله عليه وسلم

5. الرقية: وهي قراءة القرآن الكريم والأدعية النقية من الشرك، يقرأها الإنسان على جسده وإن شاء وزاد قرأ على الماء وزيت الزيتون مع النفث، والرقية ليست خاصة بمن يشكون مرضا، وانما عامة لكل احد، فعملها مثل عمل مسح برنامج مكافح الفيروسات والإختراقات، فبالرقية تظهر العقد الخفية والخاملة، ومع الاستمرار بها تنفك وتبطل. وأفضل الرقى ايسرها، وهي قراءة الفاتحة 7 مرات، وقراءة اية الكرسي والإخلاص والمعوذات 3 مرات مع النفث، وأفضل أوقاتها قبل طلوع الشمس وبعد المغرب او قبله وقبل النوم.

فكل ما سبق يصنف ذكر الله وهو اعمال جسد، و لابد أن يوافقها عمل الروح وهو الإيمان بالله سبحانه وتعظيمه وحسن الظن به والتوكل عليه والتركيز وحضور القلب، فإن ذكر الله جسديا وانشغال الروح بعيداً قد لايفيد كثيرا، فلا بد من التركيز وهو اتحاد عمل الجسد والروح ، وان حاول الإنسان وتعسر عليه التركيز، فليكثر من التهليل وهو قول: " لا اله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" يلزمها اياماً فإنه بإذن الله سيجد بركتها في حضور قلبه.

واذكرك اضافة إلى ذلك عبادة عظيمة فوائدها آنية فاجعلها عادة لك، وهي صلاة الاستخارة، لأنك تستشير الله. فإذا عزمت على أمر تجد الأفكار تتلاطم في خاطرك وتشوش بالك فإذا صليت الإستخارة ذهب ذلك كله ولم تسمع

إلا صوتا واحد وواضحا، ولو لم يكن في الاستخارة إلا هذه الفائدة لكفى. ويقال أن سبب ذلك أن الشيطان لايستطيع ان يوسوس لك في امر استخرت الله فيه.

وأجد من المفيد ان اكرر لغرض التأكيد، ان الأذكار منها ماهو لتحصين الروح واغلاق ثغراتها امام الشيطان مثل أداء العبادات المفروضة في وقتها وأذكار أدبار الصلوات وأذكار الصباح والمساء ومنها ماهو لتنظيف الروح من العقد والعين مثل الرقية والأذكار المطلقة ونوافل العبادات.

وكما ضربنا مثالا بان الإنسان مثل جهاز الحاسوب، فإن الحاسوب حتى وان كان فيه برامج حماية، إذا دخل إلى مواقع مشبوهة فإنها تتعطل ويخترق الجهاز، فالروح ايضا إذا فعلت كبائر الخطايا فربما أن لاتفيد أذكار التحصين، ولنتدبر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ علَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ) فالشيطان عقدها والإنسان لم يفعل خطيئة، فكيف اذن إن إقترف الخطايا حتى وان كانت صغائر فإن الشيطان يعقد ولكن لاأظن أن يبطل أثر التحصين إلا بالكبائر، فهذه العقد تبطل بالذكر والوضوء، وكلما أكثر الإنسان من الذكر انحلت عقد الشيطان حتى تصبح روحه سليمة رشيقة. ومتى ما ترك الإنسان الأذكار والرقية فإن الشيطان يتربص به وسيرجع لإختراقه، فأجعل الأذكار والرقية عملاً دائما لك وليس مؤقتا.

ايضا تذكر ان الشيطان يستخدم اداوات مادية لمحاولة تعطيل التحصين، فالتحصين يتم بمشيئة الله بواسطة الملائكة، والملائكة لاتدخل بيتا فيه كلبا ولا صورة كما في الحديث النبوي، وأستقرئ من هذا –لا اعرف له دليلا

- ايضا أنها (ربما) لاتدخل أمكنة الفسق والفجور، فيستغل الشيطان هذا الأمر باختراق الإنسان وزرع عقده، فاحفظ نفسك والأماكن التي تكون فيها الملائكة يحس الإنسان بالروحانية والإنشراح، أما أماكن الشيطان فيحس بضيق صدر وانقباض.

بعد اعتياد الإنسان للأذكار تبدأ عناصر الروح بالاستقواء، فيقوى الإيمان بالله تعالى واليقين والتوكل عليه وحسن الظن به وتصلح نوايا الإنسان، وبعد شفاء الروح من عقد الشيطان واعمارها بالإيمان تكون مهيأة لهبات الله تعالى وتوفيقه.

ولنعرف ان الخطايا تشكل حاجزا على الإنسان يحجبه عن بركات الله سبحانه وكلما كثرت الخطايا زادت سماكة الحاجز، قال الله تعالى : (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) ولذلك أوصانا والأمم السابقة الله سبحانه وتعالى بكثرة الإستغفار، كما استغفر وتاب ابونا ادم عليه السلام، **فالإستغفار سنة آدمية وإرث عظيم فرطنا فيه.**

معالجة الروح لاتتم سريعة فربما تمضي شهورا عديدة، فلاتحبط واحتسب أجر ما انت فيه، واستذكر دائما ان لكل شيء أجل. ولاتشق على نفسك بشيء بل ابدأ بالتدريج ووطن نفسك على الاستمرار للأبد.

الإعانة الإلهية والتوفيق

عرفنا في ماسبق ان الأشياء تتكون من مادة وروح، وأن على الإنسان ان يعي هذا الأمر ويقتنع فيه. فمثلاً، من اعتمد بجهده على تدوير آلة بيده فإنه يبذل جهداً كبيرا لتدويرها ولا تدور إلا بقوة ضعيفة اما إذا وضع عليها زيتا فإنها تدور بقوة وبجهد قليل.

كونك مؤمنا فقط لايؤهلك كثيرا لإعانة الله لك ونصرك، بل لابد من التوكل على الله فالصحابة وهم من هم لفضلهم وايمانهم لم ينصرهم الله يوم حنين بسبب اعجابهم بكثرتهم فوكلهم الله إلى كثرتهم فانهزموا فلما تابوا وانابوا نصرهم الله. وهذا نبي الله موسى واجه فرعون الملك العظيم ذو القوة والجبروت، واجهه بعصا دحض الله بها الباطل، ونصر الحق.

إن اعتمادك على ماعندك او عند غيرك من الخلق صارف لتوفيق الله ونصره، فالله يعطي الناس ارزاقا سواء كانت اموالا او علما او مهارة أو جاها أو غير ذلك، فإن شحوا بها وكنزوها واحتاج غيرهم لها فمنعوها، فهذا دليل على اعتمادهم عليها لا على ماعند الله، أما انفاقها فيعكس التوكل والإيمان بالقدر. فالمراد إن كان عندك أو لم يكن عندك، لافرق، بل اعتمد على ماعند الله فقط.

الختام:

كعادة كتب التنمية البشرية فإنها تؤكد وتكرر على القارئ أن لاتشغله المشاكل الصغيرة الروتينية وتستنزف طاقته عن مستقبله، ففي هذا الكتاب أؤكد على هذا المفهوم فمستقبل الإنسان الآخرة فإذا انشغل الإنسان بحياته اليومية الدنيوية عن اعمال الآخرة فإنه لن يكون له مستقبل، وما مثل الإنسان في الدنيا الا مثل صبي انشغل بلعبته الإلكترونية، يجمع الألماس والذهب الالكتروني وترك ماهو مطلوب منه من الدراسة وكل من حوله ينصحه وينبهه، فإن استجاب لهم وتعلم وعمل نجح، وإن انصاع لمتعته لم ينفعه ماجمع وما انشغل به.

نهاية الإنسان:

كما بدأت الحياة بنفخ الروح في الجسد، تنتهي بخروجها منه فيدفن الجسد ثم يتحلل، اما هي فتسأل وتحاسب عن ماعملت.. وهذا هو الإنسان

التقييم الذاتي:

لو افترضنا ان هناك آلة تستطيع تصغير الانسان وتكبيره، فإذا صغر وصار بحجم نملة مثلاً، فإنه سيرى الأشياء الصغيرة والتافهة عظيمة، اما اذا كبر فإنه سيرى الأشياء العظيمة صغيرة.

فلابد أن يقيم الإنسان نفسه، مالعظيم لديه ومالمهم عنده، ومنها يعرف هل اسقط الشيطان روحه أرضاً فرأى الصغائر أموراً عظيمة، أم ان روحه قوية لم يتمكن الشيطان منها، فحلقت في السماء ولاترى الأرض وما فيها إلا كليمونة سوداء ناشفة.. أو ليقيم الإنسان نفسه ويشخصها فيما يدعو ربه، هل يسأله دنيا أم آخرة.

تم بحمد الله، فإن كان حقا فمن الله تعالى، وإن كان باطلا فمني ومن الشيطان